جدّتي حكت لي

٢



الطائر الفضي

محمد أحمد برانق

محمد شفيق عطا

دار المعارف

جدّتي
حكت لي
(٢)

الطائر الفضي

كتبها

محمد أحمد برانق
محمد شفيق عطا

الطبعة الخامسة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

وفى يوم السبت الرابع من شهر سبتمبر « أيلول » ، وفى الحصة الأولى ، دخلت المدرِّسة فرفعت « سناء » يدها وقالت : جدتى حكت لى حكاية جميلة فى هذه الليلة .

فقالت المدرسة : ماذا حكت لك جدتك يا « سناء » ؟

قالت سناء : جدتى حكت لى حكاية :

« الطائر الفضى »

قالت المدرسة : احكى الحكاية يا « سناء » .

قالت « سناء » :



الطائر الفضى

فى مَكانٍ بَعيدٍ عنِ المدينةِ والناس ، يقَع شاطئٌ منفصِلٌ ، تُحيط به الصخُورُ والأَعشابُ ، وبين صخوره العاليةِ كان هُناك كوخٌ صغيرٌ تَعيش فِيه امرأَةٌ ماكرةٌ مُخادعةٌ .

وكانتْ هذِه المرأَةُ قدْ تزَوَّجتْ فى شَبابها مِنْ رجُلٍ مَلاَّحٍ حسَن المظْهَر ، حُلْوِ المَلامحِ ، هادئِ الطبْعِ قابَلَها مُصادفةً مرَّةً بعْدَ مرَّة ، فأَغْرَتْه بخِداعِها ، وبما كانت تُظْهِرُه أَمامَه مِنَ البَشاشةِ ، وحُسْن اللِّقاءِ ، وطِيبِ المُعامَلةِ ، حتَّى أُعْجبَ بجَمالِها المُصْطَنع ، الذى حاوَلَت أَنْ تَظْهَر به أَمامَه . ولطيبَتِه وهُدوئِه اعْتقد أَنَّها جَميلةٌ ، وطيِّبةٌ ، ولكنَّها كانَت قاسيةً

خَشِنةَ الطِّباع ، ما كَادَ الرجُلُ يختارُها زوجةً لهُ ، وشريكةً لحِياتِه ، حتى ظَهَرتْ فى صُورتها الحقِيقيَّةِ : امرأَةً قاسيةَ القلْبِ ، شِرِّيرةً ، صارِمَةَ الملامِح ، تَحْترِفُ السِّحْرَ ، وتُؤْذى الناسَ بسِحْرها .

كانت هذه المرأَةُ الساحرةُ الشريرةُ تَتْلو كلَّ مَساءٍ على زوْجها كَلِماتٍ منْ سِحْرها ، تجعَلُه طولَ يَوْمِه أَسيرًا لِسحْرها ، فتُجْبرُهُ عَلى أَنْ يَعْمَلَ طولَ يوْمه عمَلًا شاقًّا مُتواصلًا ، وهو كالسَّجين ، لا يستطيعُ مِنْ سحْرها ، ولا مِنْ مُراقَبَتِها له فِرارًا .

وذات يومٍ تأَخَّرت الساحرةُ فى حفْلة مَع صَدِيقاتِها ونَسِيَتْ أَنْ تتْلُوَ عَلى زَوْجها كلماتها السِّحْرِيةَ ، فأَفاقَ منْ تأْثير سِحْرها ، وَعَرف حقيقة حالِه وما هُو فِيه منْ سجْنٍ رَهيبٍ ، فَفكَّر فى التَّخلُّصِ منْ



هذه المرأة الساحرة الشريرة

هَذا العَذابِ الدائم ، ومِنْ سيْطَرةِ هذه المرأَةِ الشريرةِ ، فَفَرَّ هارباً لِيَنْجُوَ بنَفْسِه قبْلَ أَنْ تـأْتِيَ من حفْلَتِها .

وعادَتِ الساحرةُ مُتـأَخِّرةً إلى كُوخِها فلم تجدْ زوْجَها ، فأَسِفَتْ أَشَدَّ الأَسَفِ ، وأَدْركَتْ أَنَّها نسِيَتْ أَنْ تَتْلُوَ عليهِ كلماتِها السحرية ، فصارَتْ

تَشُدُّ شَعْرَها ، وتَلومُ نفْسَها ، وتَضايقَتْ لذلِكَ أَشَدَّ الضِّيق ، ونَدِمَت على ما فَرَطَ منْها نَدَماً شديدًا ، ولكنَّها لمَّا بحَثَتْ عن ابْنِها الصغيرِ الذى كانَ مَعَ أَبيه فى الكوخِ ووجَدَتْه ، فرِحَت ، وعَادَ إِلَيْهَا هُدوءُها واطْمِئنانُها .

وكانتِ الساحرةُ تُعلِّمُ ابْنَها السِّحْرَ مُنذ أَنْ كان طِفْلاً صغيرًا ، فتَعلَّم منها طُرُقَ السِّحْر ، وأَلَمَّ بكثيرٍ منْ أَسَالِيبِهِ ، وأَصْبحَ ذَا خِبْرةٍ كبيرَةٍ فيه ، وصار قادِرًا عَلى أَنْ يقْرَأَ سِحْرَ أُمِّه ، ويَعْرفَ سِرَّه ، كما تقْرَؤُه هى وتَعْرفُه .

ولكنَّه لما كَبر بدَأَ يكْرهُ السحرَ كَأَبِيهِ ، وشَعَرَ بأَنَّهُ لا يَجُوزُ أَنْ يُقْدِمَ عَلى ما كانتْ تُقْدِمُ عليه أُمُّه مِنْ إِيذاءِ أَهْلِ القريةِ القريبةِ دُون سَبَبٍ جَنَوْه ، ولا

جريمةٍ قَدَّمُوها ،إنَّهم طَيِّبون مُسالِمون لم يُقَدِّموا لهُم أَيَّ أَذًى .

لقَد كانَتْ أُمُّه الشِّرِّيرَة تهْمِسُ فى أُذُنِه دائماً ، وهُما سائِرَان فى شَوارعِ القرْيةِ أَنْ يُعاكِسَ الأَطفالَ ويُوقِعَهم ، حتى تَسيلَ منهُم الدِّماءُ ، وتَنكسِرَ أَرْجُلُهم ، فتُسَرَّ لِهذا المنْظر ، وتَفرحَ لِبُكاءِ الأَطْفال ، وكانَت أُمُّه تَعْملُ عَلى إتْلافِ مَزْرُوعاتِ الناس الطيِّبِين المُسالِمين ، دونِ أَنْ يُقَدِّموا إليْها أَيَّ أَذًى ، وكان هُو يُسَرُّ لِسُرورِ والِدَتِه . ولكنَّه حينما كَبروأَدْركَ وفكَّر ، ووَجَدَ أَنَّه يَضُرُّ الناسَ ، ويتَسَبَّبُ فى إيذائِهم بلاَ سَبَبٍ ، ومِنْ غيْر جَريمةٍ ، وظَهَر له جَلِيًّا أَنَّ فِعْلَه وفِعْلَ أُمِّه شرٌّ لا يَصِحُّ ارْتِكابُه — عَزَم عَلى أَلاَّ يَعودَ لِمثل هذا أَبَدًا ، وامْتَنع عَنْ مُسايَرةِ أُمِّه فى شُرورها ،

فكانَت أُمُّه لِذلكَ تَقْسُو عليْهِ أَشَدَّ الْقَسوة .

فلَمَّا فرَّ والِدُه تسَلَّلَ هُو أَيضاً فى ليْلَةٍ منَ اللَّيالِى وفَرَّ هاربًا مِنْهَا ، كما هَرَب أَبُوه .

فلَما عَلِمَتْ أُمُّه بفِراره جُنَّ جُنُونُها ، وقالت : سوْفَ أَرُدُّه ، وأَجْعلُه نادِمًا آسِفًا ، طالِبًا الرحْمةَ . . .

ثم سَهرَت فى كُوخِها ، وأَخْرجَت كِتابَ السِّحْرِ الكبير ، وأَخَذت تتْلُو وتُتَمْتمُ لِتَرُدَّ ابْنَها الهاربَ إِليْها .

رَحَل الولَدُ إلى القرْيَةِ القريبةِ ، وليْس معَه نُقودٌ يشْتَرى بها طعَامًا ، وليْس له حِرْفةٌ يرْتزقُ منْها ، لأَنَّه لمْ يتَعَلَّمْ إلا السِّحْرَ ، ولكنَّه قرَّرَ بعَزيمةٍ صادقةٍ أَلاَّ يكْسبَ قُوتَه عن هَذَا الطريق المكْرُوه ، والْحِرْفَةِ الضَّارَّةِ بالنَّاسِ .

وقال : لا بُدَّ أَنْ أَعْمَلَ فى الحُقول ، والْمَزَارِعِ ، وأَصِلَ إلى طَعامِى وشَرابى عنْ طَريقِ عَمَلٍ شَريفٍ .

وبيْنما هُو سائِرٌ فى طَريقِه وَجَد كُوخاً صغيرًا ، فَطَرق بابَه ليَسْأَلَ أَهْلَه عنْ عَملٍ ففَتَحت لَهُ امْرأَةٌ ، وعنْدما رَأَتْه أَغْلَقتِ البابَ مُسْرِعةً ، وقالَت لزَوْجها : إنَّ الطارقَ ابْنُ الساحِرةِ الشريرةِ .

فتَرَك الولَدُ هذا الكوخَ ، وذَهَب إلى كوخٍ آخَرَ ، ثمَّ إلى غَيْرِهِ ، فكان يُلاقِى فى كُلِّ مرَّةٍ ما كان يُلاقِى فى المرَّةِ الأُولى .

وتَحيَّر الولَدُ ، ولمْ يَدْرِ أَيْنَ يسِيرُ ، ولا كيْفَ يتَّجهُ ، وشَعَرَ بالْجوعِ ، وصارَ يجُرُّ قَدمَيْه جَرًّا منْ شِدَّةِ التَّعبِ . وأَخِيرًا رَأَى أَمامَه عَلى بُعْدٍ ضوْءًا يتَسرَّبُ مِنْ كُوخٍ صغيرٍ فاتَّجَه إليْه ، وطَرَق بابَ الكوخِ

عِدَّةَ مرَّاتٍ ، ففَتَح البابَ رجُلٌ عَجوزٌ .

ورأى الرجُلُ العجوزُ الولَدَ ، وقدْ ظَهَر عليهِ الْجَهْدُ والتَّعبُ ، فَرَقَّ له ، وعَطَفَ عليه وتَحَرَّكَتْ فى قلْبه شفَقةٌ ، فنَظَر إليْهِ فى حَنانٍ ، ودَعاهُ ليَدْخُلَ ، ويَستريحَ ، فدَخَل وارْتَمى على أَوَّلِ كُرْسِىٍّ صَادَفه ، وأَخَذَ يُدْفِئُ نَفْسَه مِنَ الْبَرْدِ الشديدِ عَلى نارِ الموْقدِ ودَعَته زوْجَةُ الرجُلِ أَنْ يَتناوَلَ الْعَشاءَ معَهُما ، فتَقَدَّم لِشدَّةِ جُوعِه دون تردُّدٍ ، وتَناوَل معَهُما عَشاءً طيِّبًا ، وحَمِدَ اللهَ وشَكَر صاحِبةَ البيْت وَزوْجَها الرحيمَ .

فقال الرجُلُ العجوزُ : يا بُنَىَّ ، إنَّنا نطْلُبُ مِنَ اللهِ أَنْ يُوفِّقَنَا لخِدْمَةِ الناس ، والْعطفِ عَلى منْ يَستَحِقُّ المُعاونةَ ، ولم نَفْعَلْ إلا الواجبَ علَيْنا نحْوَ ضيفٍ غَريبٍ ، ونرجُو أَنْ تَبيتَ معَنا هذه الليلةَ ، ولكنْ

لَيْس عنْدنا إلا سَريرٌ واحِدٌ هو فِراشي أنا وزوْجَتى ، ولِهذا سنُقَدِّم منْك المِدْفَأَةَ لتَرُدَّ عنْكَ البردَ الشديدَ .

فشَكَر الولَدُ للرَّجُل كَريمَ عطْفِه ، ومساعَدتِه ، وقال : ليس عندى مالٌ أقدِّمُه لكُما جَزاءَ عطْفِكُما وكَرمِكُما ، ولَكنِّى سأَشُقُّ لَكُما الخشَبَ منَ الحديقةِ صباحاً .

وصَحَا الولَدُ منْ نَوْمِه مُبكرًا ، وتذَكَّر وعْدَه ، فَقام ، وأسْرعَ إلى الحديقةِ التى وراءَ الكوخِ ، فَوجَد فأساً بجانب كَوْمةٍ منْ ألْواحِ الخشَب ، فقَطَّعَ الخشبَ قِطَعًا تَصْلُحُ للوَقودِ ثم رَجعَ إلى الكوخ ، وأخَذ فى إعْدادِ الإفْطار لِلأُسْرَةِ ، ونَظَّفَ المنزلَ بسُرْعَةٍ عَظيمةٍ بفَضْل سِحْره ، فَأَصْبحَ زُجاجُ النوافذ لامعاً برَّاقاً ، وأُوقِدَتِ النِّيرانُ ، وغَلا الماءُ فى الغَلاَّيةِ المعْدنيَّةِ ،

ووَضَع الوَلدُ الشاىَ فى الإِبْرِيقِ ، ثم ذَهَب ، وطَرقَ بابَ حُجرةِ نوْمِ الزوْجِ والزوْجةِ ، وقال لهُما :

يا سيِّدى ، ويا سيِّدَتى ؛ الإفطارُ يَنْتَظِرُكما .

فقام الزوْجان ، فوجَدَا الكوخَ نظِيفًا مُرتّباً ترْتِيبًا غيْرَ عادِىٍّ ، ووَجَدا الحديقةَ جميلةً ، والأَخشابَ فيها مُقطَّعةً ، فعجبا كلَّ العَجَب . والولَدُ يَضْحكُ فى نفْسه ، لأَنَّه يَعْلمُ أنه لم يَبْذُلْ مَجْهُودًا كبيرًا ، فقدْ ساعَدَتْهُ عَلَى ذَلِكَ كَلِماتُه السِّحْرِيَّةُ .

جَلَس الزوْجان وابْنُ الساحرةِ يَتَناولُون طَعامَهم ، ولكنْ ، ما كانَ أَشَدَّ دهْشَتَهم حِينَما رأَوُا الْبَيْضَ يَقْفِزُ مِنْ فوْقِ المائدةِ ، وَيتَدحْرَجُ فوْقَ الأَرْض ، والزُّبْدَ يَذُوبُ ، والْخُبْزَ يتفَتَّتُ ، وزُجاجَ الأَكْوابِ يَتكَسَّر ، ويَعْلُو ويَهْبطُ إلى الأَرْض ، وتَتَساقطُ أَلْواحُ

السَّقْفِ ، وَتكَسَّرَ الأَثاثُ ، والْتَوَتِ الْملاعِقُ والسَّكَاكِينُ ، وسقَطَتْ أَلْواحُ الزُّجاجِ ، فأَسْرعُوا بالْهُروبِ منَ الكُوخ إلَى الحديقةِ ، فلَمْ يجدُوا لَها أَثَرًا ، فقَدْ تَحوَّلَتْ إلى صُخور ، وانْدَلَعتْ أَلْسِنَةُ اللَّهَب تأْكُل الأَخشابَ التى قطَعَهَا الوَلدُ ، فعَمِلَ العجوزُ عَلى إطْفاءِ النَّار ، وجَرَى ابْنُ الساحرة ، وأَحْضَر ماءً ، وأَخَذ يُطْفِئُ النيرانَ ، ولكِنَّه كلما أَلْقَى ماءً ازْدادَت النارُ اشْتِعالًا . وأَخِيرًا وبَعْدَ مُدَّة طويلةِ خَمَدت النيرانُ مِنْ نَفْسِها ، وقد سَقطَ الرجُلُ العجوزُ عَلى الأَرْضِ مَغْشِيًّا علَيْه ، والزوجةُ تَبكى وتَنُوحُ عَلى كُوخِها وأَثاثِها ، وحَديقَتِها ، لقَد ضَاع كلُّ شيءٍ عِنْدَهُما .

وأَخَذَ الوَلدُ يُعْمِلُ سِحْرَه فى إصْلاحِ المنزل حتى

عادَ جَدِيدًا كَما كان .

وكانَ قَرَويَّان قدْ رَأَيا النارَ مِنْ بُعْدٍ ، فَجاءَا مُسْرِعَيْن لِيَعْرِفَا الْخبَر ، وسأَلَ أَحَدُهما عمَّا حَدَث . وفى صَوتٍ خافتٍ أَخَذ العجوزُ يقُصُّ عَلى الْقَرَوىِّ الْقِصَّةَ الغريبةَ التى حَدَثت .

ووَقَع نَظَرُ الْقَرَوىِّ عَلى الولَدِ ، فصَرَخ صَرْخةً عالِيةً ، وقال :

أَبْعِدُوا هذا الْوَلَد ، ليْس ما حَدَثَ غريباً ، لأَنَّكُمَا أَضَفْتُما ابْنَ الساحِرَةِ الشريرةِ ،وإِنَّكُمَا لسَعِيدَا الْحظِّ ، لأَنَّكُما مازلْتُما علَى قيْدِ الحياةِ ، هَذَا ابْنُ الساحرةِ ، هَذا ابْنُ الساحِرَةِ ، اطْرُدُوهُ ، أَبْعِدُوه .

واجْتَمع كثيرٌ مِنَ الْقَرَوِيِّينَ لِمُشاهَدةِ هَذا الْحادث



أسرعوا بالخروج من الكوخ إلى الحديقة

العجيبِ ، ولمْ يَستَطِعِ ابْنُ الساحرةِ أَنْ يُبَرِّىءَ نفْسَه مِنْ هَذا العمَل ، ويُخْبِرَهُم أَنَّ أُمَّه هِى التى فَعَلت ذَلِك ، وأَنها أَبْطَلتْ سِحْرَه .

وسُرْعانَ ما انْتشَر الخبرُ ، وذَهَبت قصةُ ابْن الساحرة فى كوخِ الرجُل العجُوز فى كل قَرْيةٍ ، وصار مِنَ المستحيل أَنْ يَسْمحَ لَه أَحَدٌ بأَنْ يَعْمَلَ عنْدَه بعْدَ ذلك .

وغادَر الولَدُ كوخَ الرجُل ، وسارَ ، وسارَ حتّى وصَل إلى طريقٍ مُتَّسع سار فيه حتى وَصَل إلى تَلٍّ عالٍ ، صَعِد فِيه إلى قِمّتِه ، فَرأَى مدينةً جميلةً فى وسَطِ الْوادى ، وفى وسَطِ مَجموعةٍ منَ المنازِل ارْتَفَع مَنْزِلٌ كبيرٌ أُعْجِبَ به ابْنُ الساحرةِ ، لأَنَّه لم يَرَ مثْلَهَ مِنْ قبْلُ ، إنَّه قصْرٌ مَلَكىٌّ بلا شَكَّ . لقَد

كانَ عظِيمَ الارتفاعِ ، لَهُ نَوافِذُ مُحلاَّةٌ بالذَّهبِ والفضَّةِ ، وقد تَلأْلأَتْ جُدْرانُه الْمرْمَريَّةُ ، وبَدَت منْ بعيدٍ كالثلجِ الأَبيض البرَّاق .

وأُعْجب ابْنُ الساحرةِ بِهذِه المدينةِ الواسعةِ ذاتِ الأَعمِدةِ الفضِّيةِ ، والمنازلِ الجميلةِ فأَسْرعَ الْخُطَى نحْوَها ، فوَجَد أَبْوابَها ضَخْمةً ، يَحْرسُها الحرَّاسُ المُسَلَّحُون ، ورَأَى أَحَدَ الْأَبوابِ ، فاقْتَرَب مِنه ، وقَال للْحارسِ : أَتَسْمَحُ لى بالدُّخول ؟ فنَظَر إليه الحارسُ باحْتِقارٍ ، وضَحِك ، وقال :

أَتُريدُ أَنْ تَدْخُلَ مَدينَتَنا ؟ إِنَّنا لا نَسْمَحُ لشَحَّاذٍ أَنْ يَمُرَّ بِها .

فخَجِلَ الوَلدُ ، وارْتَدَّ عَنْ باب المدينةِ ، وهُو يقُول لنَفْسِه : يالَتَعاسَتى !! إِنَّنى أَشْقَى الناس فى الْوُجودِ !!

وجَلَس بجوار حَائطِ المدينةِ ، واضِعاً رأسَه عَلى يَدَيْه ، وأخَذ يُفكِّرُ فى أمْره .

وبينَما هُوكذَلِك سمِعَ حارسَيْن منْ حُرَّاس الْبَوَّابةِ يقُولُ أحَدُهُما للآخرِ :

لا يُمْكنُ أنْ يُنقِذَ مَدِينَتَنا منْ خَطرِ الْعَدُوِّ إلا السِّحْرُ .

ونَبَّهَتْه كَلِمَةُ السِّحْر ، فاسْتَمع إلى حَديث الحارسَيْن ، ، فلَمَّا انْتَهيَا نَهضَ وتَوَجَّه إليْهما ، وقال لهُما : إنَّنى أعْرفُ السحرَ ، وفى اسْتطاعَتى أنْ أحْمِىَ مَدِينَتَكم مِنَ الأعْداءِ بِسِحْرِى .

فقال واحِدٌ منَ الحرَّاس : وما دَلِيلُك عَلى ذلِك ؟

فَتَمتَم الولَدُ ببضْعِ كَلِمات حَوَّلتِ الْبُنْدُقِيَّةَ التى فى يَدِ الحارس إلى مِلْعَقَة كبيرة منَ المَعْدن ، فَدَهِشُوا

مِنْ سِحْرِه ، وأَخَذُوه إلى الملِك ، وقَصُّوا عليْهِ قِصَّتَه ، فقال له الملِكُ : لوِ اسْتطعْتَ ذلِك لَجعَلْتُكَ ساحرَ القصْرِ الملَكىِّ . .

وتناوَل ابْنُ الساحرة طَعامَه ، وأَحْضَرُوا له ما طَلَب منَ السَّوائِل وِالْبَخُور والنارِ ، وقَضَى الليلَ كُلَّهُ فى تَعاويذ ، وهُوَ يَغْلِى سائِلَه عَلى النار ، فارْتَفَعتْ فقَاقِيعُ منَ السائل إلى أَعْلَى ، ولَمَّا امْتَلأَت الحجرةُ بالدُّخَانِ فَتَح الساحرُ الصغيرُ النافذةَ ، فَخَرجَ منْها الدُّخانُ ، وانْتَشَر فى الْجَوِّ ، وسار فوْقَ رُءُوس الجُنود حتى وصَل إلى جُنودِ الأَعْداءِ ، ونَجَح السِّحْرُ ، ولم يَدْخُل الْعَدُوُّ المدينةَ ، وأَصْبَح الساحِرُ الصغيرُ ساحِرَ القَصْر.

ومرَّتِ الأَيامُ وابْنُ الساحرةِ يُقِيمُ بالْقَصْر مُعَزَّزًا مُكرَّماً ، وكانَ لِلْمَلك بنْتٌ تُدْعَى «لُولاَ» وكانتْ

جميلةً فارعَةَ الطُّول ، فأَحَبَّها الساحِرُ الصغيرُ ، وكاشَفَها بذلِكَ ، فقالت :

إذا كُنتَ تُحبُّنى حقًّا ، فاعْمَلْ لى سِحْرًا يَجْعَلُنِى أَسْعَدَ أَميرَةٍ فى الحياة ، وعنْدئذٍ سأُحبُّكَ من كُلِّ قلْبى .

فاسْتجاب ابْنُ الساحرةِ لِطَلَبها ، وأَوْقَدَ نارًا ، وأَخَذَ يَسْحَرُ ، وُيتَمْتِمُ ، والدُّخَانُ يَرْتفعُ ويَرْتفِعُ حتّى خَرَج منْ تَحْتَ الباب ، ومُلِئَتْ به الشَّوارعُ ، ودَخَل إلى البُيوتِ فتَحَوَّلَ الناسُ إلى طُيورٍ تَطِيرُ وتُحلِّقُ فى سَماءِ المدينةِ ، وكَذلِك المَلِكُ والمِلِكَةُ وابْنَتُهُما الجميلةُ ، فخَرَج لِيَرَى ذلِكَ ، فأَحَاطَتْ به هَذِه الطُّيورُ ، وأَخَذَتْ تَضْربُه بأَجْنِحَتِها ، وتَنْقُرُه بمَناقِيرها ، فأَدْرَك أَنَّ سِحْرَه قَد بَطَلَ ولَمْ يُؤَدِّ

غايَتَه ، ففَرَّ هاربًا ناجيًا بحَياتِه منْ هذِه المدينةِ ، ولكنَّه رأى وراءه طائِرًا فِضِّيًّا يَطيرُ خلْفَه فأَيْقَن أَنَّ هَذا منْ سِحْر أُمِّه ، وعَرَف أَنَّه لا يَستطِيعُ الْفِرارَ منْ سِحْرها ، ولا بُدَّ له أَن يَذْهَب إِلَيْها ، ويَطْلُبَ منْها المُسامَحةَ ، فقَرَّرَ أَنْ يعُودَ إِلى أُمِّه ، فسَار مُتَّجهًا إِلى كُوخِهَا ، وكان الطائِرُ الفِضِّىُّ يَتْبَعُه — ولما وَصلَ طَرَق البابَ ، فَفَتحتْ لهُ أُمُّه ، وقالَت له : آه ! ! لَقَد ردَّكَ السحرُ إِلىَّ مَرةً أُخرَى !

فقال لها الساحِرُ الصغيرُ : أَرْجُو أَنْ تُخلِّصِينى منْ هَذا السحر يا أُمَّاه ! ! وسأُنَفِّذُ لَكِ كلَّ ما تَطْلُبينَه منِّى .

فَأَعْطَتْه بَلُّورَةً نَظَر فيهَا فوَجَد شَجَرَةً كبيرةً وفَوْقَها بَيْضٌ ذهَبىٌّ لامعٌ ، فقالت له : أَحْضِرْ لى هَذا

البيْضَ الذى تَراهُ أَمامَك فوقَ الشجرة ، وسَوْف أُخَلِّصُك مِنْ هذا السحْر .

فقالَ الولَدُ لأُمِّه : وأَيْنَ هذه الشجرةُ يا أُمَّاه ؟

فقالت : إنَّ هَذا عَمَلُك ، فلا تَسْأَلْنى عن المكَان ، وابْحَثْ بنَفْسِكَ ، وإلا فَستَظَلُّ مَشْلولَ السحْر طُولَ حَيَاتِكَ ، وسيَنالُك منْهُ الشَّرُّ عَلى مَدَى الأَيَّام.

خَرَج الوَلدُ ، وتَبعَهُ الطَّائِر الفِضِّىُّ ، وأَخَذَ يَطِيرُ ويَحومُ حوْلَه ، حتى خَرجَ منَ المدينةِ وصارَ فى صَحراء واسعة ، فتَقدَّمَ الطَّائرُ أَمامَه ، وسَبقَه بحيثُ يَراه ، وطارَ عَلى ارتفاع ٍ قليلٍ ، ثُم طارَ ، وغابَ عنْ نَظَر الساحر الصغير ، فتَوقَّفَ عن السَّيْر ؛ لأَنَّه كان يُرْشِدُه إلى الطريق ، وأَخيرًا عاد الطائرُ الْفِضِّىُّ ، واتَّجَه نحْوَ اليسار ، فرَأَى تلاًّ عالياً تسلَّقَه بصُعوبة



خرج الولد وتبعه الطائر الفضى

ومَشقَّةٍ ، وما إنْ وَصَل إلى قِمَّتِه حتى وَجد شجرةً عاليةً فسُرَّ غايةَ السرور ، ولَمَعَتْ عيْنَاه حينَما رَأى البيض الذهبيَّ فوْقَها ، فتَسلَّقَ الشجرةَ ، وجَمعَ البيضَ ، وشَكرَ الطائِرَ الْفِضِّيَّ عَلى مُساعَدَتِه له فى سبيل التحرُّر منْ سِحْر أُمِّه ، وسار نحْو قَرْيَتِه مسْرُورًا .

وكانت أُمُّه تَنْتظِرُه عنْدَ بابِ الكوخ ، فنَاداها مِنْ بَعيدٍ :

لقَدْ وجَدْتُ البَيْضَ يا أُمِّى ، وجَدْتُ البَيْضَ يا أُمِّى .

واندَفَع نحوَها مُسْرعاً مَسْرُورًا ، فاعْترضَه حجَرٌ أَسْودُ ، فسَقَط علَى الأَرض ، وتكَسَّرَ البيضُ ، فقابَلَتْهُ أُمُّه بقَسْوةٍ وعُنفٍ ، وقالت له :

لقَدْ فَشِلْتَ فى مُهمَّتِك ، ولهَذا سيَبْقَى السحرُ كَما هُو .

فأَخَذ يتَوسَّلُ إليها ، فلَمْ يَرقَّ قَلْبُها له ، ولكنها قالت : عِنْدَك فُرْصةٌ أخرى لتَتَخلَّصَ منْ هذا السحْر ، انْظُرْ فى هَذه الْبَلُّورَةِ .

فنَظَر فَرَأى مِنْها صُندوقاً ذَهبيًّا فِى قَاعِ البحْر ، فَقَالَتْ لَهُ : عَلَيْك أَنْ تُحْضِرَ هَذا الصُّنْدُوقَ إلَىَّ حالاً .

فامْتَثَل لأَمْرها ، وسَارَ ، وطَارَ أَمَامَه الطائرُ الْفِضىُّ ، حَتى أَوْصَله إلى بحْرٍ واسِع ، وهُناك وَجَد سفينةً راسيةً على شاطِئِه ؛ رَكبَها ، وسَار فى البحْر والطائرُ مُحَلِّقٌ فوْق السفينةِ حتَّى توقَّفَ عن الطَّيران ، وأَخَذ يُرَفْرفُ بجَناحَيْه ، فعَلم الساحرُ الصغيرُ أَنَّه وَجَدَ الصُّنْدُوقَ الذَّهَبىَّ ، والْتقَط الطائرُ حبْلاً منَ السفينةِ بآخِره سِنَّارَةٌ ، وأَلْقَاهُ فِى قَعْر

البحْر ، وبعْدَ لَحظَة ارْتفَعَ في الهواء ، ونَظَر الساحرُ الصغيرُ فوَجَد الصُّنْدُوق مُعلَّقًا في طرَفِ الحبْل ، فتلَقَّاهُ بيْن يديْهِ فرحاً مسرورًا . وبَيْنَما هُو يُحاول أنْ يُخلِّصَ الصندوقَ مِنَ الحبْل ، انْزلَق الصندوقُ منْه ، وسَقَط في البحْر إلى غيْر رَجْعة ، فرَجَع إلى أمِّه حزيناً يائساً ، فقَد ضَاع أمَلُه في النجاةِ منْ سِحْرِها ولكنَّ أمَّه سَهرَت طولَ الليْل تَنْظرُ في مِرْآتها السِّحْريَّة.

وفي الصَّباحِ قالت له : أمامَك فُرْصةٌ أخيرةٌ ، اذْهَبْ ، وأحْضِرْ تاجَ هَذا الملِكِ الذي يَظْهَرُ في المرآةِ .

فنَظَر فِيها فوَجَد مِلكاً عظيماً يَجلِسُ على عَرْشِه ، ونَظَر في تاجِهِ ، فوجَدَه مُحلًّى بالأحْجار الكريمةِ الغاليةِ .

فقالَت له أمُّه : عَليْك أنْ تُحضِرَ هذا التاجَ ، وسَوفَ تَتَحرَّرُ مِن هَذا السحْر .

فسَأل أمَّه : وأيْن هذا الملِكُ ؟

فقالَت : إنَّه يعيشُ فى مَمْلكَةٍ بعيدةٍ عَنْ أراضِينَا فى مكانٍ مُمْتَلئٍ بالجَواهِرِ الغاليةِ ، إنه ملِكٌ غَنِىٌّ ، يأْكُلُ ويشربُ فى أوانٍ ذهَبيةٍ ، والضوءُ الذى يَسْطعُ فى منْزله مِنْ لألاءِ هذِه الجواهر ، ولكنَّ الجواهِرَ التى تُزَيِّنُ تاجَه أثْمَنُها جمِيعًا .

وأَمَّلَ الساحرُ الصغيرُ فى أنَّ الطائِرَ الفِضِّىَّ سوْف يَقُودُه إلى ذلِك الملكِ ، كما قادَه فى المرَّتيْن السابقتيْن . . .

وفِعْلاً قادَه الطائرُ إلى كهْفٍ بيْن أشجارٍ كثيفةٍ ، دَخَلاه ، ومَرَّا فى مَمَرَّاتٍ وعْرةٍ مُخيفةٍ ، وطُرُقٍ مُظْلمةٍ حَالكةٍ .

وأَخيرًا أشْرقَ النورُ ، وسَطَع ، ووَجَد الساحرُ

الصغيرُ نفْسَه فى وادٍ فسيحٍ وأمامَه بابٌ عَلى جانبَيْهِ الحُرَّاسُ ، فتَمْتَمَ بكَلامٍ سِحْرىٍّ ، نَامَ مِنْه الحُرَّاسُ ، ودَفَع البابَ بكُلِّ قُوَّتِه ، ودَخَل فوَجَد نفْسَه أَمامَ حُجرةِ الْعَرْش ، فدَخَلها فرَأَى الملِكَ جالساً عَلى كُرْسىٍّ مِنَ الْفِضَّةِ والذهَبِ ، والتاجُ يلْمَعُ فوقَ رأْسِه ، وبه ماسةٌ كبيرةٌ لمْ يَرَ مِثْلَها أَحَدٌ ، فقالَ له الملِكُ : لِمَ جئْتَ إلَى هُنا ؟ ومَن الَّذى أَدْخَلَكَ ؟ أَنا هُنا منْ مُدَّةٍ طويلةٍ لم يُقابلْنى أَحَدٌ ، ولَمْ يَدْخُلْ عَلىَّ إنسانٌ .

وَبرَغْمِ مَظْهَر الملِكِ الْقاسى فإنَّ كلامَه كانَ يدُلُّ عَلى شَىْءٍ مِنَ الْحَنان والرحْمةِ .

فتَشَجَّع الْفَتَى ، وقَال له : لقَدْ أَتيْتُ إلَى هُنا لِآخُذَ تاجَكَ إلى أُمِّى .

فنَظَر إليْهِ الملِكُ مُتعَجِّبًا ، وقد غضِبَ غضَباً شديدًا ، ثم ضحِكَ ضِحْكَةً عاليةً دلِيلاً على السُّخريةِ والاسْتهْزاءِ بهذا الولَدِ الذى يُريد أَنْ يأْخُذَ منْه تاجَه الذى يُعْتَبرُ أَغْلى تاجٍ فى العالَم ، وتُعْتَبرُ جَواهِرُه أَثْمَنَ الجواهر ، وماستُه أَكْبرَ ماسَةٍ .

ثم قال : لِمَ جئْتَ تأْخُذُ هذا التاجَ ؟ ومَن الذى دَفَعَك إلى هَذا ؟

فقَصَّ الولَدُ عليْهِ قصَّتَه كُلَّها ، وما قاسَاهُ بعْدَ هُروبه ، وما طَلَبَتْه منْه أُمُّه ثَمنًا لفَكِّ سِحره ، والْفَشَلَ الذى صادَفَه فى المرتَيْنِ السابقتيْنِ برَغْمِ مُساعَدةِ الطائِرِ الفضِّىِّ .

فقَال له الملِكُ : ليْسَ منَ المعْقُول أَنْ أُعْطِيَكَ تاجى ، ولكنْ سَأُعْطِيكَ كثيرًا مِنَ الْجَواهِرِ التى تَعِيشُ

بها معَ أُمِّك فى سعَادَةٍ تامَّةٍ طُول حيَاتِكُما .

وأَحْضَرَ لَه صُنْدوقاً ، ومَلأَهُ بالْجواهر الغاليةِ ، وقال له : احْمِل الصندوقَ إلى أُمِّك .

ففَرِح الولَدُ ، وظَنَّ أَنَّ ذلِك يُرْضِى أُمّه ، ولكِنَّها قابلَتْه بغِلْظَةٍ وخُشونةٍ وقالتْ له : لا أُريد إلاَّ تَاجَ المَلِكِ ، وَإِذَا لمْ تُحْضِره ، فلَنْ أَفُكَّ سِحْرَكَ .

فقال لها : يا أُمِّى العزيزةَ ، لقَدْ أَحْضَرْتُ لَكِ مِنَ الجواهر ما يَكْفِى .

ولكنَّها أَبَتْ وأَصَرَّتْ عَلى أَنْ يذْهَب ليُحْضِرَ تاجَ الملِكِ .

ثم قالت : وسأَذْهَب معكَ هذهِ المرَّةَ ، ولنْ تَفْشلَ.

فخَرَج الوَلدُ مع أُمِّه ، وبيْنَما هُما يَسِيران فى الطَّريق الوعْر المُخيف، والطائرُ يطِيرُ فَوْقَهُما ـ عثَرتِ



فوجد الملك جالساً على كرسى من الذهب

الأُمُّ بحَجَرٍ أَسْودَ ، فسَقطَت عَلى الأَرضِ ، وكانَتْ سقْطَةً انْتَهتْ معَها حياتُها ، وبذَلِك انْقطَع كلُّ سِحْرٍ لَها ، واخْتَفى الطائرُ عَنْ نَظَر الْفَتى فلم يجدْه ، فَحزنَ عليْهِ حُزْناً شدِيدًا . . . وبيْنَما هُو فى حَيْرتِه لا يَدْرى ما هُو فاعِلٌ ، وجَد أَمَامَه الأَميرةَ «لُولاَ» تَبْتَسِمُ لَه ، وهى تقول :

إنَّ سِحْرَ أُمِّكَ قَدْ أَحَالَ أَبى وأُمِّى والشعبَ كلَّه إلى طيورٍ ، والآن عادَتِ الحياةُ إلَيْنا ، وَرَجعْنا إِلَى ما كُنَّا عليْهِ بعْد موْتِ هذه الساحرةِ العجوز ، ودعَتْه لمصاحَبَتها إلى مَدينَتها . . .

وسَارَا حتَّى وَصَلا إلى المدينةِ ، فَرآها قدِ ازْدانَتْ بالوُرودِ والأَزهار ، وظَهَرت فيها عَلاماتُ الفَرحِ فى كل مكان ، ثم توجَّها معًا إلى قصْر الملكِ ، فوَجدَه

جالِسًا على عَرْشِه ، وبجَانبه زوْجته سعيدةً راضيةً ؛ واسْتَقْبَل الخَدَمُ الأَميرةَ بالفرح والسرور ، ولكنَّهم حينَما رأَوْا الساحِرَ الصغيرَ أَمْسكُوه وقيَّدُوه بالسلاسل والأَغلالِ ووضَعُوه فى السجْنِ ، وأَبْلَغُوا الملِكَ ذلِك ، فَوافَق على سَجْنهِ ، ولكنَّ الأَمِيرةَ « لولاَ » أَخَذَتْ تتوَسَّلُ إلى والدِها أَنْ يَعْفُوَ عنْه ، لأَنَّ أُمَّه هى التى كانتَ قد سَحَرتِ المدينةَ ، وقد ماتَت ، وعادَتْ لهمُ الحياةُ ، وهو بَرىءٌ لا ذَنْبَ له ، ولكنَّ الأَميرةَ لم تُفْلِحْ فى مَسْعاها .

وبَدَأَ الساحِرُ الصغيرُ يُفكِّرُ فى طريقةٍ لِلْخلاص ، وبيْنما هُو يفكِّرُ وَجَد قِطَعًا منَ الذهبِ والجواهر تَتَساقطُ عليْه مِنْ كُوَّة فى جدار السجْنِ فجَمَعها ، وأَعْطاهَا للحراس ، فسَهَّلُوا له سبيلَ النجاةِ والهَربِ.



وجد قطعاً من الجواهر والذهب تتساقط عليه

وما كانَ أَشَدَّ دهْشَتَه حينما رأى الأَميرةَ تسْتَقبلهُ وتَبْتِسمْ له ابْتِسامةً عذْبَةً ، وتَقول : إنَّ الطائرَ الفضيَّ الذى عاوَنَك فى كلِّ مرَّة لنْ يَتَخلَّى عنْك ، وسأَظَلُّ معَك مَدى حياتِى ، نَعِيشُ مِنْ تَعبنا وَعَملنا ؛ فاتْرُكْ الشَّرَّ والسِّحْرَ .

فقَبَّلَ يَدَها ، وقال : سَنَعِيشُ معاً عيشةً شريفةً ، وسأَتْرُكُ السحرَ ، ولَنْ أَعُودَ إِليْه أَبداً . . .

وعاوَدتِ الأَميرةُ مَتْعاهَا لَدى أَبيها حتى عَفَا عن الْفَتَى ، فتَزَوَّجا وعاشا فى سُرور وسَعادة .

انتهت سناء من حكاية « الطائر الفضى » وسمعتها التلميذات والتلاميذ وسروا منها سروراً عظيماً ، وسألتهم المدرسة : هل يستطيع أحد منكم أن يحكى لنا هذه الحكاية مرة ثانية ؟

فرفعوا أيديهم جميعاً .

فأمرت بنتاً اسمها « سامية » أن تحكى الحكاية .

وقفت « سامية » وحكت الحكاية التى حكتها « سناء » وألقتها إلقاء سرت منه المدرِّسة ، وشكرتها . فرحت سامية ، وقالت للمدرسة :

يوم السبت الآتى : سأحكى حكاية أسمعها من جدتى ، كما سمعت سناء من جدتها .

فوافقتها المدرسة على ذلك .

رقم الإيداع	١٩٩٥/٨٣٤٥
الترقيم الدولى	ISBN 977 – 02 – 5039 – 2

٧/٩٥/١٠٦

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

جدتى حكت لى...

هكذا تحكى لنا جدتنا قبل أن ننام ! .

إنها مجموعة من القصص سهلة الأسلوب . . ميسرة المعنى . . مسلِّية مفيدة . . تجعل من أحلامنا عالمًا من الخيال والمتعة . .

وستجد يا صديقى فى هذه الحكايات . . ما يجذبك إلى عالم القراءة . . وما ينمِّى عقلك وتفكيرك . . وما يجعلك إنسانًا نافعًا لمجتمعك :

اقرأ فى هذه المجموعة :

دار المعارف